عرض الكتب

كتب قرأتها

ذكريات

تأليف : الأستاذ / أحمد علي
عرض : الأستاذ / عبد العزيز الرفاعي

تمهيد :

هذا النوع من الكتب لماذا نحتفي به ؟ أعني كتب المذكرات والذكريات ..؟ ما علينا ان قصّ احدهم قصة حياته .. او جانباً من قصة حياته .. فنشأ في بلدة كذا ، وتعلم في مدرسة كذا ، ويذكر كذا ..وعرف من الناس فلاناً وعلاناً .. وكان الزمن على عهده ، على كذا .. وكان المكان على ما يصف .. ماذا يعنينا من كل ذلك ؟ ولماذا نهدر أوقاتنا في مثل هذا الكلام ؟ ولكل منا قصة حياة وتجارب ومعارف .. الخ . ربما أجد حوافز كثيرة ، لكي اقرأ مذكرات تشرشل .. او اي رجل آخر في وزن تشرشل شهرة وبعدَ صيت لأعرف وخائل هذا الرجل العظيم ، ولأقف على ما وراء الاحداث من اسرار .. ومع التسليم المطلق بأهمية هذا النوع من الذكريات او المذكرات التي يكتبها مشاهير الرجال الذين أثروا في تاريخ العالم ما جمعه على نحو ما .. فان هناك ألوانا من ادب المذكرات والذكريات له وزنه الكبير ، لا من ناحيته الأدبية فحسب .. بل وحتى من الزاوية التأريخية التي تعدّ ايضاً ذات البينات المعنية .. لذلك نجد ان ادب الذكريات والمذكرات ، أدب مميز ، وله عشاقه ومريدوه .. وهم يجدون فيه ألوانا من المتعة .. ، قد يجدون هذه المتعة في الاسلوب الكلي او الطريف او في طبيعة الاحداث نفسها ، او في غرابتها او شذوذها .. وبهذه العناصر او بعضها تقترب كتب الذكربات او المذكرات من عالم القصة والرواية .. وتحمل ما تحمله هذه من إغراء أو إمتاع ، كلما استطاع الكاتب ان يحمل قارئه على متابعته المعني معه في رحلته ..

الكاتب ؟

والاستاذ احمد علي .. او أحمد علي أسد الله ، وهذا اسمه كاملاً — لم يُقم العالم ولا أقعده مثل تشرشل .. ولا نابليون .. وهو لم يُقم الادباء لم يقعدهم ، كما فعل طه حسين في ميدان الأدب الحديث ، قبل ان يصدر الايام .. وقليل اولئك الذين عرفوا اسمه في العالم العربي ، وهؤلاء القليل هم الذين تابعوا كتاباته في مجلة المنهل ، او مجلة الحج ، او في بعض الصحف المحلية .. ولكنه .. برغم هذه الشهرة المحدودة .. رجل من طراز نادر من الرجال .. رجل طلعة .. شغف بالمعرفة شغفاً عجيباً منذ ان فتح عينيه على الدنيا .. تطلع الى كل شيء .. وأخذ من كل شيء بطرف .. وهو حينما تفتحت شخصيته الى المعرفة بشراهة .. وضع لنفسه — مع ذلك — حدوداً من الدين متوازنة ، لا يطغي منها جانب على آخر ..إلا ان تستغرق المعرفة .. فتستحوذ على لبه .. وبتلك الشخصية الواغلة ، ذهب الاستاذ أحمد علي ، يقرأ علماً ، وأدباً ، وتاريخاً وجغرافيا . يقرأ في العربية ، وفي الانجليزية .. وأحسبه يضيف الى هاتين اللغتين ، الأرودية او يلمّ بها ..

وهو مع علمه وفضله ، وسعة اطلاعه ، رجل أنيس .. معشره خفيف .. وحديثه لبق .. جاب الكثير من بلاد الله ، حتى لتحسبه لا يمسي في بلد ، الا لكي يصبح في أخرى .. وله في اسفاره غرائب وعجائب ، ومتاعب .. وقد نشر جانباً في مشاهداته ..

احببت — يا قارئي الكريم ، ان احدثك قليلاً عن هذا الرجل ، كما عرفته ، لتعلم انه حينما يكتب ذكرياته ، إنما يكتب تاريخاً حافلاً يعكس كل تطلعاته .. فكان حقاً ان نعنى بهذه الذكريات وان نحتفى بها ، وان نقرأها بالكثير من الامعان .. وبكثير من الحضارة ..

فاذا علمت ان الاستاذ أحمد علي ، حينما يتناول قلمه ليكتب ، لا يحاول أن يفتعل ، ولا ان يتكلف .. بل ينطلق على سجيته ، تماماً كما يتحدث . تمضي معه في يسر وهوادة — ازددت اكباراً لعلمه وادبه .. اما اذا صادفتك كلمات معجمية .. فلا ينبغي ان ترتاع فهو لم يجشم نفسه عناء ، ليضع هذه الكلمات او ليحشرها في سطوره .. كلا فانما هي من فرط حرصه على اللغة .. ألم اقل انه أخذ من كل علم بطرف ؟ وهو أيضا حينما يفعل ذلك ، انما يستعمل هذه الكلمات بحكمة واتزان ، كما يضع الطباخ الماهر الملح في الطعام ، تشجصةً لا اعتسافاً .

هذا بعض ما اعرف عن المؤلف .. فماذا عن الكتاب ؟

• • •

والكتاب

والكتاب .. اصدره النادي الأدبي بالطائف .. وقد تميز هذا النادي بنشاطه ، وتنشيطه للحركة الفكرية ، خاصةً في مجال النشر .. ومن بين منشوراته ما يعدّ من نفائس الكتب .. وهذا الكتاب من تلك النفائس ، وقد تم طبعه سنة ١٣٩٧ هـ في مطابع الزايدي بالطائف .. ويقع في حوالي مائتي صفحة من الحجم المتوسط ، وطباعته جيدة ..

ويضم الكتاب فصولاً قيمة عن الحركة الصحفية والفكرية في الحجاز ، منذ ثورة الحسين ابن علي ، وحديثا عن جريدة القبلة التي كانت تصدر في عهده ، وعرضا للحالة السياسية ، والصحية والاجتماعية ، والعلمية ، والأدبية ، ثم ذكرياته عن الحج ، وهي ذكريات شائقة ، وعن رحلاته في المدن الحجازية ، وعن عهد الدراسة ، وعن الملك عبدالعزيز رحمه الله ، وخاصةً بعد ان عمل المؤلف ، مدرساً في مدرسة الامراء بالرياض ، حينما كانت الرياض مدينة صغيرة محصورة داخل سورها القديم ووصف للحياة الاجتماعية والعمرانية بها ، ورحلاته في معية جلالته الى البر والمقناص .. ووصف جميل للحياة في الروضات او في الصحراء احياناً .. ثم يخصص المؤلف جزءا غير يسير من كتابه ، للحديث عن شقيقه الاستاذ عبدالحميد ، وولعه بالاطلاع والقراءة ، والأدب ، والكتابة الوصفية ،

والهزلية .. وقصة مرضه .. الخ .. وقد احسن صنعا حينما سجل حياة هذا الأديب الذي لا يكاد يعرفه الا الاقلون ممن اتصلوا به ، وعرفوا خلقه السامي ، وما تمتع به من ادب ، وكان هذا الصنع من جميل وفاء المؤلف لاخيه النابه . وكان حقاً على ذاكرة الزمن ان تعي طرفاً من حياة هذا الرجل ..

ان المعنيين برصد التطور الاجتماعي والثقافي في المملكة العربية السعودية ، سيجدون في هذا الكتاب ، الكثير من المعلومات الجديدة عليهم ، التي تؤرخ ، بطريق غير مباشرة لحركة التحول الطارئة على هذه البلاد .. عدا ما يجدونه من متعة وطرافة ..

لأجد من المفيد للقراء ، ان أنقل اليهم نصاً تاريخياً من هذا الكتاب عن اللقاء الأول الذي تم بين هيئة التدريس المعينة لمدرسة الامراء بالرياض، التي كان من بينها المؤلف ، وبين جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله ، وما تبعه من اعداد ، مع صور من ملامح الحياة في مدينة الرياض آنذاك ، ليكون ختاماً لهذا التعريف .

يقول في وصف الاستعداد للسلام على الملك عبد العزيز رحمه الله ، في قصره بالرياض ، ويصف القصر ، وغرفة المدرسة ، وصلاة الظهر ، ويتطرق الى وصف المساجد ثم يصف وليمة غداء ، دعوا إليها ومظاهر الكلام والحفاوة التي قابلهم بها مضيفهم : —

الاستعداد للسلام على جلالة الملك عبد العزيز .

وبينما نستعد للخروج الى القصر الملكي للسلام على جلالة الملك عبد العزيز (رحمه الله) ، جاء مندوب من القصر يستعجلنا في الخروج لأن جلالته في انتظارنا .. فأسرعنا الى القصر والطريق يمر بأزقة ضيقة كثيرة المنعطفات والملاوي وكانت الحملقة بنوع من السذاجة لا تفارقنا من قبل المارة الذين نمر بهم .. والبعض لا يكتفي بالحملقة بل يعطل سيره ويقف لمتابعة حركات سيرنا أي سير هذه الاشكال الغريبة التي طلعت عليهم من الصباح الباكر ولم ننته من هذه المناظر إلا بعد دخولنا القصر .

القصر

دخلنا القصر من رتاج يدخل منه الخاص والعام والابل بأحمالها والدواب بثقلها . والقصر عبارة عن مدينة صغيرة أو مجموعة بيوت كبيرة ربط بعضها ببعض بواسطة ممرات أرضية وجسور من (الدور الثاني) .

وقسم من القصر مخصص للمكاتب الرسمية والموظفين . ومجالس جلالته .. وأخذنا دليلنا الى مكتب (الشعبة السياسية) حيث ينتظرنا جلالته (تغمده الله برحمته) وأشار علينا بالدخول ... فدخلنا وتشرفنا بالسلام على جلالته ..

وبعد السلام سمح لنا جلالته بالجلوس على يساره . وتفضل بالسؤال عن وصولنا الى الرياض وعسى ان رحلتنا اليها كانت مريحة .. وبعد الانتهاء من هذه الاحاديث اللطيفة قال جلالته : —

كل ما تحتاجونه بشأن المدرسة ولوازمها وطلباتكم .. فقولوا لهذا (وأشار الى الاستاذ رشدي ملحس سكرتير الشعبية السياسية يومئذ) رحمه الله — واتفقوا معه على كل ما تريدونه من أجل المدرسة ..

وهنا دخل الاستاذ عبد العزيز ماجد المترجم بالديوان الملكي بنشرة الاخبار المترجمة من الاذاعات الافرنجية واستأذن جلالته في قراءتها .. فأذن له وبعد أن انتهى الاستاذ من قراءة النشرة علق جلالته على بعض الانباء ثم قام وخرج ..

غرفة المدرسة .

قمنا مع الاستاذ المرحوم رشدي ملحس الى الغرف الخاصة بالمدرسة ولم تكن بعيدة عن الشعبة السياسية . اتفقنا معه على اجراء بعض تعديلات في الغرف كما قدمنا له طلبات المدرسة ، فوعدنا أنه يعرضها على جلالته ثم يحيلها الى جهة التنفيذ .

صلاة الظهر .

ذهبنا لصلاة الظهر الى أقرب مسجد بالنسبة البناء وهو مسجد الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ (أسكنه الله فسيح جناته) . دخلنا المسجد فاذا أنظار الجالسين في انتظار الصلاة تحولت الينا .. وبصورة خاصة الى لنظاراتي .

المساجد .

وضع المساجد وهندستها تكاد تكون واحدة في البناء والشكل وليس هناك اختلاف إلا في الكبر والصغر . ولا بد لكل مسجد رواق من ناحية القبلة وهو لصلاة الظهر والعصر وصحن مكشوف من بعده تقام فيه صلاة المغرب والعشاء والفجر صيفاً والقسم الثالث (الخطوة) وهو كالمخبأ تحت الارض ولا منافذ لها غير الباب الذي ينزل المصلون منه أو كوات صغيرة في السقف وهذه الخلاوي مخصصة للصلاة ، لا سيما صلاة الفجر والعشاء في موسم الشتاء القارس ..

وأرض المساجد تفرش بحصباء كبيرة الحجم .. وفي بعض المساجد يفرش للصفوف الاولى مستطيلة تعرف باسم (المداد) بكسر الميم وفتح الدال .

والمآذن عبارة عن برج مربع يقام على احدى زوايا سقف المسجد .

وتزدحم المساجد بالمصلين ولا سيما في صلاة المغرب والعشاء والفجر .
ويدخل المصلون المساجد بأحذيتهم ولا يخلعونها إلا عند مصلاهم .

البيوت ونظامها وأوقات الاجتماعات .

لقد تعارفنا ، بحكم عملنا واجتماعنا بالجيران بكثير من الاخوان على مختلف الطبقات ، ودعينا عندهم لتناول القهوة والشاي مراراً مما لاحظته في هذه الاجتماعات هو : —

١ — ان الوقت المعتاد — في الغالب — لدعوة (شرب الشاي والقهوة) هو فترة ما بين العشائين أي من بعد المغرب الى العشاء وليكون آذان العشاء الحد الفاصل للاجتماع وداعيا لانصراف الداعي والمدعوين الى المساجد .

وهذه الإجتماعات كانت في تلك الايام ، أي قبل انتشار الراديو ، كأذاعات داخلية يسمع الانسان فيها حوادث النهار مع التعليقات من قبل الحاضرين .

٢ — تشابه البيوت في هندستها وترتيبها .. فغرفة الاستقبال (أو الديوانية أو الروشن) لا بد أن تكون قريبة من مدخل الدار . في الطبقة الاولى أو الثانية بعيدة عن بقية أجزاء الدار — لئلا تتسرب اليها أصوات النساء — ويعني بأثاثها ، أي يضع كل انسان أحسن ما عنده من الرياش فيها .

٣ — وجود (الوجار) وهي كلمة تركية أصلها (وجاق) ومعناها (الموقد) في صدر غرفة الاستقبال (الديوانية) . ويجانب هذا (الوجار) رفوف في الجدار يوضع عدد كبير من الدلال (جمع دلة) على مختلف الاحجام وعدد من أباريق الشاي (الكفتيرات) وهذه الاشياء لا تستعمل مطلقاً .. بل توضع للزينة .

٤ — اشعال نار (الوجار) أمام المدعوين باستخدام المنفاخ الخشبي أو الحديدي . والقيام بتحميص البن ودقة في الهاون ودق الهيل — أما بالهاون أو بالمطحنة الصغيرة — ولا يخلو عمل الشاي والقهوة من قيام وجلوس عدة مرات على أقل تقدير من قبل الذي يتولى عملها .

اذا كان المدعو عزيزا أو كبيرا في الدرجة ، قام الداعي بنفسه بعملية عمل القهوة والشاي وكلف أحد أولاده أو اخوانه بتقديم ذلك للحاضرين .

٥ — يجلس ضيف الشرف أو الشخصية الكبيرة من الحاضرين بجوار الوجار ..

٦ — تقديم القهوة والشاي للحاضرين يكون حسب منزلة الشخصيات لا بترتيب الجلوس .

٧ — يبدأ الاجتماع بتقديم البخور ومروره على الجالسين مبتدئاً بالضيف ثم على من يمينه ثم من بشماله وينتهي الاجتماع كذلك بالبخور .. وكل هذه الأعمال والحركات تؤدي من قبل

الداعي وأقربائه في غاية من الاكرام والحفاوة واللطف بالمدعوين .

وليمة غداء .

دعانا الاخوان (وهو من أتباع سمو الامير خالد بن عبد العزيز) (جلالة الملك المعظم) وقد عرفته من مكة . وكانت هذه أول دعوة غداء نحضرها . ذهبنا اليه بعد صلاة الظهر من المسجد .. ورحب الاخ بنا وبمجرد دخولنا (الديوانية) قدم لنا البخور ثم القهوة ثم الشاي الاسود ثم الشاي الاخضر ثم النعناع ثم (الكركديه) أو الكجراتي ، ثم جاء البخور ..

فهمس أحد الرفاق في أذني وكان مرحا : — (الظاهر هذه هي الغدوة .. والله يعيننا على الوصول الى البيت في هذه (الصنقريرة) ، (أي الشمس الحارة في عامية مكة) ونجلس تاني للطبخ والنفخ ..)

وفي هذه اللحظة جاء الداعي وقال : — تفضلوا ..

فهمس أخونا المرح في أذني مرة أخرى قائلا : — (ما قلت لكم — الحكاية شاهي وقهوةوتسريبة الى الباب) ظنا منه أنه يقصد بكلمة (تفضلوا) الخروج ..

قمنا مع الرجل الى أسفل الدار أي ناحية الباب .. ورفيقنا له أنات وآهات و (ولولات) وأخيرا لم نخرج من الباب ، بل أخذنا الداعي الى غرفة أخرى واسعة كل مساحتها تقريبا شغلت بسماط عربي صف فوقه من صحون الاطعمة والاشربة والحلويات والفواكه ما يعجز الانسان من عدها تتوسطها جفان الرز المحمر والمحلق بدائرة من الزبيب واللوز والمتوجه بخراف محنذة ..

وهنا تهلل وجه رفيقنا فرحا .. وهمس بأذني وهو يتقدم الى هذا السماط : — (الله يهديه . أما كان الاولى للاخ أن يدخلنا من أول مجيئنا على هذه النعائم . وبلاش من تلك المويات الحارة والمرة التي حرقت قلوبنا وحركت الصفراء فينا ولكن ما عليه ما دامت النهاية طيبة) .

وقد قمنا من المائدة داعين لصاحب الدعوة بالخلف والعوض وخير الجزاء من الله ، والمائدة لكثرة ما عليها من الخير لم ينقص منها شيء .. وخرجنا من عنده شاكرين للاخ الداعي كرم ضيافته وجوده وسخاءه وسماحة نفسه